اللسان العربيّ

ما هو؟ وما هي منزلته الحقيقيّة في الزمن البشريّ

الغرض الأساسيّ من هذه المحاضرة التصدّي إلى بعض الأفكار الشائعة في خصوص العربيّة. وأغلبها تصوّرات شائعة، لا تقوم على أساس علميّ متين، ولا على توثيق أمين. وتتعلّق بتحديد ماهيتها، وبرسم حقيقتها التاريخيّة وحقيقة صلتها بالألسنة القديمة والحديثة، وبدورها الحاليّ في المجالات المختلفة كمرتبتها في الألسنة الحيّة العالميّة، ومنزلتها في عالم التواصل والاتصال ومدى استعمالها على الشبكات الرقميّة، واهمّيتها الاستراتيجيّة بالنظر إلى الألسنة الأخرى، إلى غير ذلك من الأدوار المنوطة بالألسن الكبرى.

وهي أفكار وتصوّرات ناتجة عن عدم المعرفة ببعض الحقائق العلميّة في خصوص اللغة البشريّة وألسنتها المختلفة عموما وفي خصوص العربيّة بالذات. فأغلب ما يشاع في شأن العربيّة غير قائم في عمومه على دراسات علميّة عالميّة؛ فمنه رواسب معرفيّة قديمة بالية تجاوزتها اللسانيّات النظريّة والتطبيقيّة؛ ومنه رواسب دعائيّة نشرتها القوى الاستعماريّة منذ القرن التاسع عشر؛ ومنه ما ينطوي على خلفيّات استراتيجيّة عالميّة ذات صلة متينة بصراع الحضارات ورغبة الهيمنة على مصادر الطاقة وعلى التحكّم في المعرفة والمعلومات، ومنه ما نشرته الإديولوجيّات القوميّة والدينيّة ظنّا منها أنّها تحسن فعلا بصبغ العربيّة بإحدى الصبغتين واستعمالها لأهداف سياسيّة غير موافقة لحقيقتها البشريّة.

فمن أهداف عرضنا الدفاع على كون المسار الذي عرفته العربيّة مسار ذو أعماق أنتروبولوجيّة عميقة، وأنّ وضعها الحاليّ مكوّن بنيويّ بشريّ لغويّ مجاوز للإديوليجيات المختلفة وللإرادات الفرديّة والجماعيّة، وأنّ الحكمة في التعامل الموضوعيّ مع الحقائق الطبيعيّة، وفي مسايرة التيّار الذي يفرضه التطوّر الطبيعيّ في المعنى الدقيق والماديّ لهذه العبارة، بعيدا عن كلّ العقائد والمخطّطات السياسيّة العرضيّة وما يشوبها من سجال وأوهام.